صور معاصرة مخالفة للتوحيد

خطبة جمعة ألقاها الدكتور/

أيمن بن سعود العنقري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْخُطْبَةُ الأُولَى

إنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلِ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[الأحزاب: ٧٠ – ٧١]؛ أمَّا بعد:

☜ **عباد الله**؛ فاتقوا الله تعالى وراقبوه؛ فإنَّ تقوى الله ما جاورت قلب امرئٍ إلا أدرك المُنى، فهي وصيته سبحانه وتعالى للأولين والآخرين، ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[النساء:١٣١].

توحيد الله في ربوبيته: تعظيمه وإجلاله وإفراده بأفعاله، فيعتقد المسلم بأنَّ الله جلَّ وعلا هو الخالق، وغيره المخلوق، وأنَّ الله جلَّ وعلا هو المُدبِّر، وغيره المُدبَّر، وأنَّ الله سبحانه وتعالى هو الملك، وغيره مملوك، ونؤمن أيضًا بأنَّ الله جلَّ وعلا فوق سماواته بائنٌ من خلقه، أي: منفصلٌ عنهم، ليس في ذاته شيءٌ من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيءٌ من ذاته، ونؤمن بأنَّ الله جلَّ وعلا لا يحلُّ في أحدٍ من مخلوقاته، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علوًا كبيرا، ونؤمن بقدرِ الله جلَّ وعلا، وأنَّ الله علم الأشياء قبل وقوعها، فعلم ما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وكتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ.

كما جاء في صحيح مسلم: عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَان عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ»، ونؤمن بمشيئة الله التَّامة وقدرته النافذة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ونؤمن بأنَّ الله خلق العباد وخلق أفعالهم، فما يقع للعبد من خيرٍ أو شر، أو طاعةٍ أو معصية، أو كفرٍ وإيمان، فإنَّ الله خلقها وقدَّرها، قال جلَّ وعلا: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦]، وأخرج الإمام البخاري في كتابه [**خلق أفعال العباد**] من حديث حذيفة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: «إِنَّ اللهَ يَصْنَعُ كُلِّ صَانعٍ وصَنْعَتِه».

إذا عُلم هذا وتقرَّر، فإنَّ من الصور المعاصرة المخالفة للتوحيد، والتي تنتشر في بعض الدورات التدريبية: ما يُسمى بتجربة النية أو قوة النية عند أصحاب الباطنية الجديدة؛ فهم يرون أنَّ النية تؤثر استقلالًا في تشكيل الواقع الخارجي، وتفعل بنفسها، فهي عندهم بمثابة الإله؛ ولذا تجدهم يجتمعون فيما يُسمُّونه بجلسات تأملٍ وإرسال النوايا لتغيير الحياة إلى الأمثل، ويرون أنَّ هذا من الطرق الناجحة لتغيير أنماط الحياة، وجذب الحب بين الشريكين، والدعوة إلى السلام وإنهاء الحروب القائمة بين الدول، وهذا في حقيقته صورةٌ معاصرة من صور الشرك الأكبر في باب توحيد الربوبية.

ومبنى ذلك عندهم: الاعتقاد بأنَّ الوجود المطلق هو الوعي، وهي عقيدة وحدة الوجود، وهي القوة المتدفقة عندهم التي أوجدت الحياة وخلقت الكون؛ فالوعي عندهم بمثابة الإله، نعوذ بالله من ذلك.

وبما أنَّ الإنسان جزءٌ من الوعي فهو خالقٌ مُدبرٌ للكون؛ لأنَّه جزءٌ من هذا الوعي الذي هو بمثابة الإله عندهم، فما يُسمونه كذبًا بقانون أو تجربة النية ما هو في حقيقته إلا تطبيقٌ من تطبيقات فلسفة الطاقة الإلحادية الشرقية التي يدَّعون أنَّها مبثوثةٌ في الكون، ويدَّعون بأنَّ نية الإنسان طاقةٌ في الكون، وهي تُحقق له ما ينوي، فإذا أراد أن يُحقق شيئًا فما عليه إلا أن يُطلق نيته فردية أو مع مجموعة الكون.

ومن ذلك أيضًا: ما يُسمونه بقانون الامتنان، وهي فلسفةٌ روحانيةٌ إلحادية متفرعةٌ مما يُسمونه بالجذب، ومن المخالفات العقدية في هذا التطبيق: ارتباطه بفلسفة الطاقة الإلحادية التي يُعبِّرون بها عن الوجود الكُلِّي المطلق، وهي إحدى صور عقيدة وحدة الوجود، وصورة هذا القانون الكاذب: أن تشكر بعمقٍ وامتنان كل شيءٍ حولك؛ مقعدك الذي يحملك، جسدك الذي يُحرِّكك، طعامك الذي يُغذِّيك، الشمس التي تُرسل لك شعاعها، اشكر وقل: شكرًا أنا ممتنٌ للطبيعة التي تمنحني السعادة بجمالها، ممتنٌ للقلم الذي يكتب أفكاري، وهكذا.

وثمرة هذا الامتنان والشكر للكون عندهم وتفاصيله: أن تصل إلى الكون ذبذبات الامتنان، فتتناغم مع الكون، وترسل لك ذبذبات السعادة والراحة والسكينة بزعمهم، فتعودَ فتمتن له، ويمتن لك في تناغم وحدويٍ فريد، وحقيقة ذلك: صرفٌ عن الشكر الذي دعا إليه الإسلام: شكر الله جلَّ وعلا المُنعِم المُتفضِّل، وشكر الناس على ما بذلوه من جهدهم وإرادتهم.

والمأخذ على هذا القانون، وهو قانون الامتنان، ما يلي:

أولًا: ارتباطه بمعتقداتٍ كفرية لا تنفك عنه، فيرون أنَّ الطاقة، وهي الموجود الأول، بمثابة إله، وشكرها والانسجام معها يحقق السعادة.

ثانيًا: أنَّ هذا من الشرك في باب الأسباب، فلم يثبُت كونه سببًا لا من جهة الشرع ولا من جهة التجربة، أو حتى وجوده كونا، والشكر في الإسلام يكون لربِّ هذه الجمادات، الله سبحانه وتعالى، أمَّا هي فلا تسمع ولا تُبصر، ولا تُغني عنَّا شيئا، كذلك شكر من أسدى لك معروفا.

فقد قال نبينا صلَّى الله عليه وسلَّم: «**مَن لا يَشكُرُ النَّاسَ لا يَشكُرُ اللهَ**»، ومعناه: أنَّ من كان من طبيعته وخُلقه عدم شكر الناس على معروفهم وإحسانهم إليه، فإنَّه لا يشكر الله جلَّ وعلا لسوء تصرفه وجفائه.

ومن ذلك أيضًا: ما يُسمُّونه بالجذب أو بقانون الجذب، وهو أيضًا تابعٌ لذلك، فيعتقد هؤلاء أنَّك إذا رغبت بشيءٍ من أمور الدنيا؛ كالحصول على ثروةٍ أو الشفاء من مرض أو النجاح، فما عليك

إلا أن تُركِّز جيدًا وترغب بهذا الشيء بشدةٍ وتتخيله، وتؤمن وتقتنع بأنَّك ستحصل عليه، ومن ثمَّ تستعد لاستقباله، ويعتمد ممارسوه على التخيل بلا عمل، وعلى الطلب من الكون وإرسال ذبذباتٍ للكون، فينسبون للكون تحقيق الأمنيات وليس لربِّ الكون سبحانه وتعالى، ويجعلون العقل الباطن هو من يتحكم في أمور الحياة وفي الأقدار، فأنت في نظرهم من تُشكِّل لحياتك الأقدار على حسب ما تجذبه من الكون، ليظهر جليًا نفي القدر والتعلق بغير الله جلَّ وعلا في عبارة: "اطلب والكون يُلبِّي".

والعجيب كل العجيب أن نجد من يقتنع بخرافة الجذب وينسبها للإسلام، وهي خرافةٌ بوذية، أصلها من قول بوذا الوثني: "الشبيه يجلب إليه شبيهه"، والفرق بين خرافة الجذب البوذية وحسن الظن بالله: أنَّ حسن الظن بالله يكون في الدعاء والخضوع لله تعالى وطلبه والتوسل إليه، مع اليقين التام بأنَّ الله هو من يُقدِّر الأقدار بمشيئته، واليقين بالإجابة والعمل بالأسباب مع التوكل على الله، والإيمان بأنَّ الله جلَّ وعلا يختار الأفضل لعباده حتى لو كان القدر في ظاهره أنَّه شر، فلا يعلم العبد أنَّ هناك خيرًا عظيمًا ينتظره بسبب هذا الأمر، فلا يجزع من أقدار الله، ولكن يُحسِّن الظن بربه.

والإيمان واليقين بأنَّ الكون وما فيه خاضعٌ له سبحانه ولمشيئته، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»، رواه الإمام أحمدُ في مسنده، والترمذي في سننه بإسنادٍ صحيح.

وما يُسمى بالجذب هو في حقيقته تغليبٌ لقدرة البشر على قدرة الله، وأنَّ مشيئة البشر تغلب مشيئة الله سبحانه وتعالى، وربنا جلَّ وعلا يقول في كتابه: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[التكوير:٢٩].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذِّكر الحكيم.

☝ أقول قولي هذا وأستغفر الله العلي العظيم فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين؛ أمَّا بعد:

☜ **عباد الله**؛ فمن المخالفات المعاصرة التي تُخالف التوحيد: ما يُسمى في بعض الدورات التدريبية بالعقل الباطن، وهو مصطلحٌ مُحدثٌ مثيرٌ للجدل، وإنَّما كلامنا هنا في استخدامه في المعنى الباطني الفلسفي، فيستخدمه أرباب الباطنية الجديدة في ثلاثة معانٍ خطيرة تنافي التوحيد:

المعنى الأول: أنَّهم يعتبرون العقل الباطن وسيلةً للتواصل مع الوعي الكوني الذي هو عندهم بمثابة الإله، وهو ذاكرةٌ تتضمن العالم كله، ماضيه ومستقبله بزعمهم، ومن خلال هذا التواصل يُعتقد أنَّه بإمكان الإنسان تحصيل المعارف الخفية والعلوم الغيبية من مصدر العلم مباشرة، وهذا بابٌ واسعٌ للانحراف؛ فمصدر العلوم المطلقة هو الربُّ سبحانه وتعالى، ودعوى الأخذ عنه مباشرة دعوى للصوفية الباطنية القديمة، فهم يقولون: "أخذتم علمكم ميتًا عن ميت"، يُخاطبون أهل السنة، بمعنى: أنَّ أهل السُنَّة –ولله الحمد– حفِظوا أحاديث النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وساقوها بالأسانيد، كما في صحيح البخاري ومسلم: حدَّثنا فلانٌ قال: حدَّثنا عن فلان، أمَّا هم فيقولون: أخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت.

وهذه العقيدة الكفرية تتناقض مع عقيدة ختم النبوة بنبوة نبينا محمد صلَّى الله عليه وسلَّم وأصول التَّلقي، كما يُتيح هذا القول للإنسان علمًا غير محدود ومعرفةً مطلقة لا يقول بها من وحَّد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته، وأدرك الضعف البشري الجِبلي الذي لا يُعدُّ عيبًا إلا إذا أعرض الإنسان عن مصدر القوة الحقيقية واعتمد على غيره.

المعنى الثاني: الاعتقاد بأنَّ العقل الباطن يخلق الواقع الخارجي ويُشكِّل الأحداث، وهو ما يقوله بعض أصحاب ما يُسمى بخرافة الجذب؛ فإنَّ يقينيات العقل الباطن عندهم تتجلى بالمحسوس حتى

يكون هو مصدر تحقيق كل الرغبات بغير استثناء، وما على الإنسان سوى تزويده بالرسائل الإيجابية، وهذا مفهومٌ متأصل في الباطنية الجديدة التي تجعل الوعي، وهي بمثابة الإله عندهم، هو الوجود المطلق، ومن ثمَّ يُكوِّن الفكر، ومن ثمَّ يكون الفكر هو حقيقة الوجود، وبتوجيهه يتغير الواقع؛ فالثروة والسعادة والصحة والزواج والذُّرية والنجاح في الحياة تُوجدها قناعات العقل الباطن.

المعنى الثالث: الاعتقاد بأنَّ العقل الباطن يجعل للإنسان قدراتٍ خارقة فوق قدرات البشر وإمكاناتٍ بلا حد، فمنهم من يزعم إمكانية التخاطر، وقراءة الأفكار، والتنبؤ، وتحريك الأشياء عن بُعد، وغيره من خلال العقل الباطن، وهذه كلها انحرافاتٌ خطيرة تُنافي عقيدة التوحيد.

وما حصل التنبيه على هذا إلا لكثرة من يُدرِّب على هذه الأمور، والمصيبة كل المصيبة أن يدَّعي أسلمة هذه الأشياء وإبعادها عن جذورها العقدية الفلسفية، ومن ذلك -مع الأسف-: ما يوجد الآن من فتح بعض الأندية لما يُسمى برياضة اليوغا دون إدراكٍ لخطورة هذا الأمر، وأنَّ هذا الأمر حقيقته فلسفةٌ شرقية باطنية، فليست رياضةً مُجرَّدة، وإنَّما هي عبادةٌ وطقوسٌ عند الهُندوس، فاليوغا لفظٌ سنسكريتي معناه: الاتحاد، ويُطلق على الرياضة الصوفية التي يمارسها حكماء الهند في سبيل الاتحاد بالروح الكونية.

واليوغي هو الحكيم الذي يمارس هذه الطريقة، وتُعرف اليوغا أيضًا بالوحدة؛ اتِّحاد الإنسان مع الروح، وهي الروح الكونية، ويعنون بها الإله، وتحتوي تمارين وطقوسًا مختلفة، لكن أهمها: تمرينٌ يُدعى "سوريا نمسكار"، وهو يعني باللغة السنسكريتية: السجود للشمس بثمانية أعضاء من الجسم، وقد حدَّدوا هذه الأعضاء بالقدمين والركبتين واليدين والصدر والجبهة، إلى غير ذلك، ويُردِّد من يمارس هذه الرياضة بعض الكلمات في أثناء قيامه بالتمارين وبصوتٍ جهوري تُدعى بالمانترات.

بالإضافة إلى ذلك: لا بد أن يردد أسماء الشمس الاثني عشر؛ لأنَّ هذا جزءٌ رئيسي وهام في اليوغا، ويدَّعون أنَّ في هذه الترداد فائدة، وأيُّ فائدةٌ من ذلك! فاليوغا حقيقة ليست رياضة كما

يتصورها بعض الناس، إنَّما هي طقوسٌ تعبدية لدى الهندوس، والهدف منها: الاتحاد مع الإله في عقيدة وحدة الوجود المُلحدة، فأين العلم في هذا؟!

مانتراتٌ غريبة، وتمجيدٌ وسجودٌ وركوعٌ للشمس! ثم نجد من يُدرِّب المسلمين ونجد من يقول: أهم شيءٍ النية، نحن ننوي به الرياضةَ فقط، والسؤال الموجه لهم: إذا قيل لنا: أنَّ الصلاة النصرانية في الكنيسة رياضةٌ مفيدة، فهل يجوز لنا ممارستها؟ وهل إذا قيل لنا: إنَّ السجود لصنم اللات والعُزَّى رياضة، فهل سوف نجد لها بحُجة أنَّ نيتنا هي الرياضة؟!

حُججٌ واهيةٌ باطلة يُقنع بها الشيطان من يتَّبعه، إضافةً إلى ما في ذلك من مخالفةٍ للتوحيد الذي هو أغلى ما على المسلم أن يحفظه؛ حفظه لتوحيد الله جلَّ وعلا وعبوديته لله من كل ما يُبطلها.

نسأل الله جلَّ وعلا أن يُثبِّتنا على التوحيد، وأن يُميتنا عليه غير مُغيِّرين ولا مُبدِّلين.

هذا وصلُّوا -رحمكم الله- على نبيكم محمدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم كما أمركم الله بذلك في كتابه، فقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[الأحزاب:٥٦].